كتب

في «زمن العواصف»، العنوان الذي اختاره الرئيسي الفرنسي الأسبق لكتابه، ينسى ساركوزي أو يتناسى ضمن ما يتناساه، ما أحدثه هو من العواصف في بعض بُلدان العالم العربي، وما أسفرت عنه سياسته اليمينيّة المصطنعة وكراهيته للعرب والمسلمين داخل فرنسا وخارجها من آثار سلبيّة

من الطبيعي ألا يصدّقه أحد

عواصف ساركوزي الباردة

نجم الدين خلف الله

كتابٌ جديدٌ للرئيس الفرنسيّ الأسبق نيكولا ساركوزي، ظَهر أواخر الشهر الماضي. يعودُ عَبره إلى المشهد الإعلامي، ضمن استراتيجيته التواصليّة التي باتت ممجوجةً، وهو ما حدا ببعض الملاحظين إلى الإشارة إلى أنَّ الرّجل لم يَتخلَّ عن مطامحه بالعودة إلى الحُكم مِن باب الكتابة السياسيّة الباردة. فهو لم يفتأ يغذّي، عبر مؤلفاته الأخيرة مثل «عواطف» (2018)، و«الكل من أجل فرنسا» (2016)، التخمينات حول مَساعيه للتأثير في سياسة البلد، إصداراتٍ دائمًا ما تقترن بوجود مَتاعبَ قضائيّة جادّة.

يحمل هذا الكتاب عنوانَ: «زَمن العواصف»، (528 صفحة، عن دار الأوبسرفاتوار). وفيه يَسرد الرّئيس الأسبق ما جرى له طيلة السّنتَيْن الأوليَيْن (2007-2008) من ولايته، فيما يبدو أنّه الجزء الأول من سلسلة كاملة حول الأعوام الخمسة التي قضّاها في قصر الإليزيه. هذا وقد حُرِّر الكتابُ في كَنَف السّرّيّة المُطلقة حيث استغلّ ساركوزي فترة الحجر الصحّي والانغلاق الشامل بفرنسا، ليشتغل بمعدل ثماني ساعاتٍ كل يوم لإتمامه، حَسب ما صرَّح به يومَ صُدوره، ولم يكن يعلم به أحدٌ، عدا زوجتِهِ ومستشارَيْن لَه.

ومنذ مساء السادس من مايو/أيار 2007، تاريخ وصوله إلى سدّة الحكم، أثار سلوك ساركوزي الكثير من الجدل: إذ اختارَ أن يَحتفي بفوزه في الانتخابات الرئاسيّة، في مطعم الفوكاتس الفاخر بجادة الشانزليزيه. وبسبب ذلك، صار مَسخرة الفرنسيين، يُطلَقُ عليه ازدراءً: «الرئيس بلينغ بلينغ»، وهي تسمية كِنائيّة تسخرُ من جُنوحه للبَذخ وتَجعل منه رئيسًا للأثرياء فقط. ولم يتخلّص من هذه السمعة طوالَ ولايته التي ابتدَأت بقَضايا حارقة مثل الأزمة الماليّة العالميّة التي عصفت بالبلاد سنة 2008 والصّراع الدمويّ الذي اندلعَ بين روسيا وجورجيا، فضلاً عن احتجاز رَهائن فرنسيين في أفغانستان.

ولذلك، يبتدئ الكتاب بوصف مشاعره أوّل يوم من الحُكم: «أصبحْتُ بدءاً من السادس من مايو 2007، وحيدًا. كان لديَّ فريقٌ من المُستشارين والأصدقاء وزائري الليل. لكنّي كنتُ وحيدًا في اتّخاذ القرارات الصعبة النهائيّة. وكان هذا هو الشعور الأول الذي انتابني بعد أن رافقتُ الرئيسَ جاك شيراك [مُوَدّعًا] وولجتُ إلى المَكتب الرئاسي، الذي سيصبح تحتَ تصرّفي، للسنوات الخمس المقبلة». ثم يستنتج: «إنَّ ممارسةَ السّلطة كانت بالنسبة إليَّ تجربةَ وَحْدةٍ وعُنفٍ مدوٍّ، أكثرَ فظاعةً مما كنتُ أتَصوّر».

ثم تتالت الاعترافات والتوصيفات لما شهدته ولايتُه من أحداثٍ وما خالَطها من شخصيّات سياسيّة مَلأت المشهد فَرَسَمَ عنها بورتريهات، وهي تشمل في ذات الآن مُعارضيه وهم الأكثريّة، ومُواليه، إذ كان يُخصّص فقراتٍ عن كلّ واحدٍ منهم، ولا يوفّرهم ويَتكلّم عن «تفاهاتهم»، أحيانًا من دون دبلوماسية.

كما خصّص العديدَ من الصفحات لرسم علاقته بالشخصيات العالميّة مثل: أنجيلا ميركل وباراك أوباما وبوتين وغيرهم من سياسيّي عصرنا، وظل يراوح في التحليل والتصوير والملاحظة الذاتيّة ووصف مشاهد من حياته اليومية، دون أن ينسى إرسال إشاراتٍ لاذعة ضدّ وسائل الإعلام التي لم تَدّخر جهدًا، هي الأخرى، في انْتِقاده. كما استعادَ ساركوزي «الأعاصير» التي ضَربت حياتَه الخاصة، وجلّها منثورٌ في الإعلام، ولا سيما مشاكله الزوجيّة التي انتهت بطلاقه من أم أولاده سيسيليا أتياس، ثم اقترانه بالمغنّية وعارضة الأزياء الإيطالية كارلا بروني. وليس في هذا الحديث من الأصالة شيءٌ وإنما هي وضعيات اعتياديّة، يُواجهها أيّ إنسان، وتنتمي إلى ما يسمى بأدبيّات المشاهير peoples التي تُقرأ لتُنسى. الفرق الوحيد أنَّ مَن عاشها رئيسٌ. وهكذا، والشهادة بلسانه، فَإنَّ العاصفةَ الكبرى التي تُسبّب فيها ساركوزي هي تحطيم هيبة الوظيفة العليا في الجمهورية الفرنسية، وظيفة الرئاسة، التي تعاقَبَت على النّهوض بها شخصيات أكثر وزنًا وثقافةً مثل فرانسوا ميتران وجورج بومبيدو، فإذا به يهزّها ولاسيما من خلال مشاحناته اللفظيّة مع المواطنين والتي كان يُطلق خلالها عباراتٍ نابية لا تليق بالمقام السياسي الذي يمثّله، بل تَعكس جانبًا من شخصيته الانفعاليّة. ومع ذلك، لم يجد من حَرج في العودة إليها وتبريرها بالقول: «أردتُّ أن أظهرَ أني لم أجْبَل من الشَّمْع، وأنّي لا أمثّل أيَّ دور».

ولا يسوق، في هذا العمل، إلا اعتذارات نادرة عن أخطائه التي ارتَكبَها، كتصريحه في دكار (السنغال) سنة 2007 أنَّ «الرّجل الإفريقي لم يدخل التاريخَ بعدُ»، مؤكّدا: «هذا خَطأ فادحٌ، لا يمكن لأحدٍ أن يبرّره». لكنْ دون أن يرقى كلامُه إلى اعتذاراتٍ رسميّة عن هفواتِه القاتلة في ليبيا والعراق وبعض الدول الإفريقية، كما لم يَتجرأ، طيلةَ ولايته، على فَتْح جروح الاستعمار الثخينة.

ولكن ماذا يعني صدور الكتاب في مثل هذا التوقيت؟ هل هي رَغبته التي لا يكاد يخفيها، في العودة إلى المشهد السياسي، علمًا وأنّ هذه الإطلالات هو ما استمرّ في فِعله منذ خسارته في «أوليات» حزب اليمين، ومنها ما فَتئ يتحرك في الكواليس، ضمن عائلته الحزبية «الجمهوريين». ولعلّه، وقد أدرك هذا الانتقاد، بادرَ إلى إنكاره: «لستُ في حملة انتخابيّةٍ. لا أحدَ يُصدّقني لكن هذه هي الحقيقة، إنما أنا في مشروع بناء أو استمرار مسيرة سياسيّة». ومن الطبيعي ألا يصدّقه أحدٌ بعد أن ملأت ألاعيبه المشهَد السياسي، في العَلن والكواليس.

«زمن العواصف» هو العنوان الذي اختاره ساركوزي ليشير به إلى المعضلات السياسية الكبرى التي واجهته في الفترة الأولى لولايته، مقارنًا إياها برياحٍ عاتية كادت تُغرق سفينةَ فرنسا. ولكنَّه نسيَ، أو تناسى، ما أحدثه هو من العواصف والأعاصير في بعض بُلدان العالم العربي، وما أسفرت عنه سياسته اليمينيّة المصطنعة وكراهيته للعرب والمسلمين داخل فرنسا وخارجها من آثار سلبيّة. ولذلك، يكاد يجمع المراقبون أنّ هذا التأليفَ، كسابقيه، ليس له من هدفٍ سوى إيقاف الإشكالات القضائيّة التي يقع في دوّامتها وكثرة القضايا الجنائيّة التي يُلاحَقُ بسببها في محاكم فرنسا.

ومن جهة ثانية، لا نستبعد أنّ الرئيس الأسبق، يسبح على النّجاح التجاريّ الذي حققه كتابُه السابق «عَواطف» في المكتبات إذ صار الأكثر مبيعًا بفضل بيع 300 ألف نسخة منه، فكأنه يَسعى إلى جَني المال السهل، بَيْع الكلام، بعد أن صارت كتابةُ المذكّرات السياسيّة تقليدًا أدبيًا لا يُقاوَم. يأتيه جلُّ الرؤساء الغربيين. وقد تُحدث إحدى هذه المُذكرات ضجيجًا، سريعًا ما يهدأ، بعيد مُرور برهةٍ قصيرةٍ.

لا نَظنُّ أنَّ الكتابَ سَيَصمد لمدة طويلة، إلا لدى مَن سيَختصّ في تأريخ تلك الحقبة. عدا ذلك، الأسلُوبُ والمضمون دونَ المتوسط قيمتُهما، يعكسان رَجلاً وصوليًا، يسعى لإرواء ظمَأه للنفوذ والثروة. ولعلّ الفضائح الماليّة والسياسيّة التي تلاحقه، والتي تتعلق بالحصول على تمويلاتٍ خارجية ضخمة (أرسلها القذافي) دليلٌ على مدى الهوّة التي تفصل بين الخطاب الجمهوري الجميل الذي ينادي به والسلوك الحقيقيّ الذي لا يتورَّع عنه. ومن «عواصف الزّمن» التي ضَربت العالم، لم يستنتج خلاصاتٍ فكريّة أو فلسفيّة ولم يعبّر عنها بأسلوب أدبيّ أو تاريخيّ رصين. قالتْ دراسة السنيّة أجريت على خطاباته، إنَّ المروحة المعجميّة التي يَستعملها لا تتجاوز 300 كلمة. فَقْرٌ في الفِكر يُغطّيه صَخَبُ الشّعارات.

الأسلوب والمضمون يُظهران وصوليًا يسعى للنفوذ والثروة

فَقْرٌ في الفكر والإنسانية يُغطّيه صَخَبُ الكلام

ساركوزي، المذكرات كمحاولة للّعب السياسي مجددا (Getty)

ستر فضائح أم تجارة؟

يكاد يُجمع المراقبون على أنّ هذا الكتاب، كسابق مؤلفات ساركوزي، ليس له من هدفٍ سوى إيقاف الإشكالات القضائيّة التي يقع في دوّامتها وكثرة القضايا الجنائيّة التي يُلاحَقُ بسببها في محاكم فرنسا. ومن جهة ثانية، لا يستبعد أنّ الرئيس الأسبق، يسبح على النّجاح التجاريّ الذي حققه كتابُه السابق «عَواطف» في المكتبات، إذ صار من بين الكتب الأكثر مبيعاً بفضل بيع 300 الف نسخة منه.

نظرة أولى

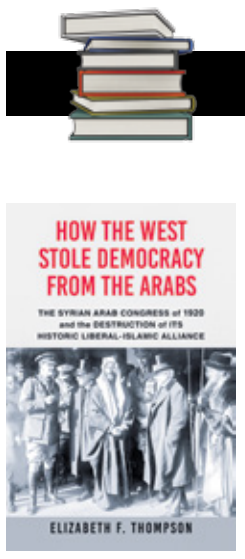

عن دار «أتلانتيك مونثلي برس» في نيويورك صدر كتاب «**كيف سلب الغرب الديمقراطية من العرب: المؤتمر السوري في 1920 وتدمير التحالف التاريخي الليبرالي- الإسلامي**» للمؤرخة إليزابيث سومبثّن أستاذة تاريخ الشرق الأوسط الحديث في الجامعة الأميركية بواشنطن. يأتي الكتاب الصادر في الذكرى المئوية لمعركة ميسلون ليوضح مسؤولية الغرب عن تدمير الطموح العربي ببناء نظام دستوري بالاستناد إلى تحالف ليبرالي- إسلامي في المؤتمر السوري، مما جعل المنطقة مفتوحة لاحقا لتطورات مغايرة بفعل سياسات الانتداب الفرنسي والانقلابات العسكرية.

عن دار «خطوط» صدرت أنطولوجيا شعرية بعنوان «**لَغْنَةُ المالِينشِه**» للمترجمة الأردنية الفلسطينية غدير أبو سنينة. تشكّل المختارات مدخلاً سلساً لشعر أميركا اللاتينية وخصوصاً في النصف قرن الأخير، وهي تعتمد على ذائقة المترجمة التي أفردت مساحةً أوسع لشعراء نيكاراغوا حيث تُقيم. يتتابع الشعراء بحسب البلدان التي ينتمون إليها، بدءاً بنيكاراغوا فالإكوادور فالأوروغواي فالمكسيك فكوستاريكا، مروراً ببلدان أميركا اللاتينية الأخرى، لتنتهي بشاعرتين من إسبانيا فيتحقق على سبيل الصدفة التقاء العالمين «القديم» و«الجديد» في طيات الكتاب.

عن «كلمات عابرة»، صدر مؤخراً كتاب بعنوان «**التعبيرات الشبابية والديمقراطية الثقافية: دراسة مقارنة لموسيقات الشارع بعد 2011 بين المغرب وتونس**»، وهو عمل مشترك أنجزه كل من الباحثة التونسية فاتن مبارك والباحث المغربي ياسين أغلالو. ينطلق الكتاب من تشخيص للسياسات الثقافية في البلدين، والتنبيه إلى الفجوة بينها وبين إرادة الشباب ووعيهم، وهو ما دفع الكثير من التعبيرات الثقافية إلى الشارع كفضاء فنّي يتيح التواصل مع الشعب. يحلّل المؤلفان مفهوم الديمقراطية الثقافية من منظورين مختلفين: منظور الدولة ومنظور فناني الشارع.

ضمن سلسلة «أغورا»، صدر مؤخراً كتاب «**أحلام العقل**» **للباحث الفرنسي نيكولا غريمالدي** (1933) **عن منشورات «بوكت»**. يتابع المؤلف في هذا الكتاب نقده - الذي ظهر في أعمال سابقة - للغة التقنية التي بات يعتمدها فلاسفة العصور الحديثة وهو ما لا نجده في التقاليد الأولى للفلسفة في بداياتها الإغريقية. يشير غريمالدي إلى أن من نتائج هذا التوجّه أن اكتشف الفلاسفة حدود الاعتماد على العقل وحده وبدأت أعمالهم تتغذّى بالروحانيات والجماليات والخيال كما في أعمال مفكرين مثل هنري برغسون وغاستون باشلار الذين يحلّل بعض مقارباتهم.

صدر مؤخراً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» كتاب «**الاستراتيجيا الصينية تجاه الدول العربية: الأهداف والمآلات**» للباحث أنس خالد النصار ضمن «سلسلة أطروحات الدكتوراه». يحلّل الكتاب العلاقات بين البلدان العربية والصين ويقف عند الأدوات التي تستخدمها الأخيرة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية. يتكوّن العمل من خمسة فصول: «مشكلة الدراسة وإطارها المنهجي»، و«الرؤى الاستراتيجية للصين وتحولاتها»، و«أهداف الاستراتيجيا الصينية وأدواتها ومآلاتها تجاه الدول العربية»، و«الاستراتيجيا الصينية تجاه الدول العربية»، و«خلاصات».

عن «المؤسّسة العربية للدراسات والنشر»، صدر حديثاً كتاب بعنوان «**ألف لايك ولايك: دراسة في أدب وسائل التواصل الاجتماعي**»، وتتناول فيه الباحثة الفلسطينية إيمان يونس التغييرات التي أحدثتها وسائل التواصل الاجتماعي في الأدب؛ حيث شكّلت هذه الوسائل باختلاف أنواعها «موضوعاً للأدب وغاية له، وأصبح التراكم الكمّي الكبير للنصوص التي تناولت هذه الوسائل ظاهرة أدبية معاصرة جديرة بالبحث والدراسة والأرشفة». يلقي العملُ الضوء على هذه الظاهرة بأبعادها المختلفة من ناحية، ويُحاول إنجاز أرشفة للنصوص الأدبيّة من ناحية أخرى.

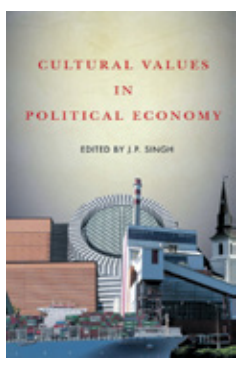

عن «منشورات جامعة ستانفورد»، صدر حديثاً كتاب «**القيم الثقافية في الاقتصاد السياسي**» الذي حرّره أستاذ التجارة والسياسة الدولية جي. بي. سينغ. يضمّ الكتاب مجموعة دراسات تناقش ردود الفعل العنيفة ضدّ العولمة والتي أدّت إلى إعادة التفكير لدى علماء الاجتماع من أجل تفسير الظواهر المرتبطة بها مثل صعود الشعبوية في جميع أنحاء العالم، وكذلك القلق الثقافي المتعلّق بالانتماء إلى الطبقة والدين، والتي تحتاج في فهمها إلى منظور لا يغلّب الحسابات السياسية والمصالح الاقتصادي، ويهتم بالسياقات الاجتماعية وتغير القيم الثقافية.

عن «دار محمد علي»، صدر مؤخراً كتاب «**الحياة اليومية بمدينة صفاقس خلال النصف الثاني من القرن التاسع**» للباحث التونسي فريد خشارم وتقديم عبد الواحد المكني. يعتبر المؤلف أن مبحث الحياة اليوم لا يمكن اعتباره كحقل فرعيّ من التاريخ كمجال معرفي بمعناه المعروف إلا من باب التجاوز، حيث يقتضي الاشتغال على الحياة اليومية منهجيات وطرق بحث عن القرائن والوثائق مختلفة تماماً عن تلك المعتمدة في التاريخ. يعتمد خشارم في كتابه على الأنثروبولوجيا أساساً، ومن خلالها يستقرئ أنواعاً كثيرة من الأرشيفات لرصد المعيش اليومي.